

* سِلْسِلَةٌ : المَقَامَاتُ الأَدَبِيَّةُ (٥)

مَقَامَةُ العِيدِ

بقلم

أ.د. أحمد بن علي القرني

عُضُورَابِطَةُ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ العَالَمِيَّةِ

١٤٤٢ هـ

النشرة الأولى

شوال ١٤٤٢ هـ

للتواصل مع المؤلف
على البريد الإلكتروني

DAL1388@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَامَةُ الْعِيدِ

حَكَى أَبُو الْفَرَجِ عَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: أَدْرَكَنِي هِلَالُ
شَوَّالٍ (١)، وَأَنَا فِي مَدِينَةِ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، عَلَى سَاكِنِهَا
أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَعَلَى الصَّحْبِ وَالْأُلُ.

وَكُنْتُ أَتَعَجَّبُ مِنْ حَالِ نَاسِهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ (٢)،
إِذْ شَمَّرُوا عَنْ سَاقِ الْجِدِّ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ. فَجَعَلُوا مِنْ
رَمَضَانَ مِيدَانًا لِلتَّنَافُسِ فِي بَثِّ الْمَبْرَاتِ، وَمَوْسِمًا لِلتَّسَابُقِ
إِلَى نَتِّ الْمَسْرَاتِ (٣).

فَمِنْهُمْ مَنْ بَدَّلَ مَالَهُ فِي مُسَاعَدَةِ الْمَسَاكِينِ، وَوَأَسَى
بِرِفْدِهِ الْمُحْتَاجِينَ وَالْمَلْهُوفِينَ.

وَمِنْهُمْ مَنْ بَدَّ فِي تَفْطِيرِ الصُّوَامِ (٤)، وَقَدَّمَ لَهُمْ مَا لَدَّ مِنْ
الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ حَبَسَ نَفْسَهُ عَلَى تَعْلِيمِ النَّاسِ، وَجَدَّ فِي
تَحْذِيرِهِمْ مِنْ مُقَارَفَةِ الذُّنُوبِ وَالْأَذْنَانِ.

وَلِذَا قُلْتُ فِي وَصْفِ حَالِهِمْ، بَعْدَ الَّذِي عَايَنْتُ مِنْ
أَفْعَالِهِمْ:

لِلَّهِ دَرُّ الْقَاطِنِينَ بِطَيْبَةِ
بَلَدِ الْهُدَى وَمَنْ اضْطَفَاهَا اللَّهُ
أَحْفَادُ أَنْصَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
صَلَّى عَلَيْهِ مَعَ السَّلَامِ اللَّهُ
يَتَسَابِقُونَ إِلَى الْمَرَاضِي كُلِّهَا
فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ جَلَّ اللَّهُ
يَسْعُونَ فِي طَلَبِ الْجِنَانِ بِهِمَّةٍ
وَيُعِينُهُمْ فِي كُلِّ ذَاكَ اللَّهُ
يَسْتَرْخِصُونَ الْبَدَلَ فِي مَرْضَاتِهِ
فَجَمِيعُ سَعْيِهِمْ لِيَرْضَى اللَّهُ
لَا يَرْتَجُونَ سِوَى الْإِلَهِ لِأَنَّهُ
لَا يَنْفَعُ الْمَخْلُوقَ إِلَّا اللَّهُ

وَشِعَارُهُمْ فِي كُلِّ ذَا وَنِدَاؤُهُمْ:

اللَّهُ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ!



قَالَ أَبُو الْفَرَجِ: وَقَدْ ابْتَهَجَ النَّاسُ بِقُدُومِ الْعِيدِ، وَلَبِسُوا فِيهِ الْجَمِيلَ الْجَدِيدَ، وَعَمَّ الْفَرَحُ كُلَّ سَهْلٍ وَصَعِيدٍ.

وَخَرَجَتِ الْجُمُوعُ لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ، وَشُكْرِ الْمُنْعِمِ عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ وَأَوْلَاهُ، وَتَذَلَّلَ كُلُّ عَابِدٍ لِخَالِقِهِ وَمَوْلَاهُ^(٥).

وَأَمْتَلَأَ الْفَضَاءَ بِالتَّكْبِيرِ، وَالثَّنَاءِ عَلَى الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ.

وَطَفِقَ النَّاسُ يَتَبَادَلُونَ التَّهْنِئَةَ وَالتَّحَايَا^(٦)، وَيَتَبَادَلُونَ الصَّوَانِي وَالْهَدَايَا^(٧).

وَيَطُوفُونَ عَلَى الْبُيُوتِ لِلْمُعَايَدَةِ^(٨)، وَقَدْ نَبَذُوا وَرَاءَهُمُ الْإِحْنَ وَالْمُكَايَدَةَ.

وَصَفَتِ الْقُلُوبُ مِنَ الْأَكْدَارِ، وَطَهَّرَتِ النُّفُوسُ مِنَ الْأَقْدَارِ.

وَحَنَّ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَأَنْطَفَأَتْ فِيمَا بَيْنَهُمْ نَارُ
الْعَدَاوَةِ وَالْمَعْضُ (٩).

وَتَجَلَّتْ صُورُ التَّرَاحِمِ وَالْمُوَاسَاةِ، وَلَا سِيَّمَا فِي شَأْنِ
الْإِطْعَامِ وَالْمُكَاسَاةِ، وَصَارَ كُلُّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ تَنَاسَاةً.
حَتَّى الْأَطْفَالُ أَخَذُوا يَدُورُونَ عَلَى الْبُيُوتِ؛ لِجَمْعِ مَا
اسْطَاعُوا جَمْعَهُ مِنَ الْحَلْوَى وَالْبَنَكْنُوتِ (١٠).



قَالَ أَبُو الْفَرَجِ: فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا يُبْهِجُ الصَّدْرَ، وَيَرْفَعُ الْقَدْرَ.
لَزِمْتُ الْخِذْرَ، وَوَضَعْتُ الْقَدْرَ. وَعَزَمْتُ عَلَى الْمُكْثِ فِي
طَيْبَةِ اللَّيَالِي السِّتِّ، أَنَا وَالسِّتُّ (١١)؛ لِصِيَامِ السِّتِّ.
وَأَشْرَعْتُ بِابِي لِاسْتِقْبَالِ النَّاسِ، فَكَانَ مِمَّنْ زَارَنِي
شَيْخُنَا أَبُو الْعَبَّاسِ.
فَرَحَبْتُ وَبَجَلْتُ، وَعَانَقْتُ وَقَبَّلْتُ.

فَلَمَّا جَلَسَ وَاسْتَنَدَ، قَالَ لِي يَا وَلَدَ:

نَعْنِعْ كُوُوسَكَ إِنِ ارْدَتَ سُرُورَنَا

فَالشَّايُ لَا يَحْلُو بِلَا نَعْنَاعِ!

بِالْمَغْرِبِيِّ أَوْ الْحَسَائِيِّ^(١٢) الَّذِي

يَجْلُو هُمُومِي كُلَّهَا وَصَدَاعِي!

فَأَطَرْتُ ضَاحِكًا، وَأَجَبْتُ مُمَاحِكًا^(١٣):

أَبْشِرْ بِمَا يَهْوَاهُ قَلْبُكَ إِنِّي

أَهْوَى الَّذِي تَهْوَى بِغَيْرِ نِزَاعِ

فَاعْمَدْ لِشُرْبِ الشَّايِ وَهُوَ مُنْعَعٌ

فَالسَّرُّ كُلُّ السَّرِّ فِي النَّعْنَاعِ!

ثُمَّ إِنِّي قَدَّمْتُ لَهُ الْقَهْوَةَ وَالْقُدُوعَ^(١٤)، وَالشَّايَ الْمُنْعَعَ

وَهُوَ يَضُوعٌ^(١٥). ثُمَّ تَنَيْتُ بِالطَّيِّبِ وَالْحَلَاوَةِ^(١٦)، لَعَلِّي أَظْفَرُ

بِشَيْءٍ مِنْ كَلَامِهِ ذِي الطَّلَاوَةِ^(١٧).

فَلَمَّا اطْمَأَنَّ بِنَا الْمَجْلِسِ، وَحَانَتْ الْفُرْصَةُ لِكَيْ أُفِيدَ
مِنْ عِلْمِهِ وَأَقْبِسَ. بَادَرْتُ بِسُؤَالِهِ عَنْ مَسَائِلَ تَتَعَلَّقُ بِشَوَالٍ
وَالْعِيدِ، فَأَخَذَ يُجِيبُ عَنْهَا وَأَنَا أُسْتَفِيدُ مِنْهُ وَأُسْتَزِيدُ.

فَكَانَ مِمَّا قَالَ فِي جَوَابَاتِهِ^(١٨)، وَقَدْ أَعْجَبَنِي حُسْنُ
عِبَارَاتِهِ وَجَمَالَ سَجْعَاتِهِ:

لَوْ رَأَى شَخْصٌ هِلَالَ شَوَالٍ وَحَدَهُ، فَإِنَّهُ لَا يُفْطِرُ إِلَّا مَعَ
النَّاسِ حِفَاطًا عَلَى الْوَحْدَةِ.

وَقَالَ أَيْضًا:

صِيَامُ السَّنَةِ مِنْ شَوَالٍ مَسْنُونٌ مُسْتَحَبٌّ، وَمَنْ قَالَ بِكَرَاهَةِ
صَوْمِهَا أَوْ عَنْ ذَلِكَ ذَبَّ، فَضَعَّ قَوْلَهُ فِي الْمَهَبِّ، وَفَتَوَاهُ فِي
الْمَشَبِّ؛ فَإِنَّ الْحَدِيثَ إِلَيْنَا أَحَبُّ.

وَقَالَ أَيْضًا:

لَا بُدَّ فِي صِيَامِ السَّنَةِ مِنْ عَقْدِ النِّيَّةِ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ؛
لَيْسَتْ كَمِلَ الصَّائِمُ مَا تَرْتَّبَ عَلَى صِيَامِهَا مِنَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ.

وَقَالَ أَيضًا:

يَجُوزُ أَنْ يَصُومَ الْمَرْءُ سِتَّةَ شَوَالٍ وَلَوْ لَمْ يَصُمْ الْقَضَاءُ؛
لِأَنَّ الْقَضَاءَ وَاجِبٌ مُوسِعٌ فَهُوَ رَحْبٌ وَاسِعٌ كَالْفَضَاءِ.

وَقَالَ أَيضًا:

لَوْ أَنَّ امْرَأَةً أَصَابَهَا النَّفَسُ فِي أَوَّلِ عِيدِ الْفِطْرِ، فَلَمْ
تَتَمَكَّنْ مِنْ صِيَامِ السَّيِّئِ إِلَّا بَعْدَ تَصَرُّمِ الشَّهْرِ، جَازَ لَهَا ذَلِكَ
الْأَمْرُ، وَحَصَلَ لَهَا بِإِذْنِ اللَّهِ الْأَجْرُ.

وَقَالَ أَيضًا:

يَجُوزُ صِيَامُ السَّيِّئِ مِنْ شَوَالٍ مُتَتَابِعَةً أَوْ مُتَفَرِّقَةً، مَا دَامَ
أَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ فِي النَّصِّ مُطْلَقَةً.

فَشَكَرْتُهُ عَلَى لَطَائِفِ الْإِتْحَافِ، وَسَأَلْتُهُ قَبْلَ أَنْ يُزْمَعَ
الْإِنْصِرَافُ: كَيْفَ رَأَيْتَ الْعِيدَ عِنْدَ النَّاسِ، وَمَا الَّذِي أَعْجَبَكَ
فِيهِ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ؟

فَقَالَ لِي: اعْلَمْ أَنَّ الْعِيدَ عَلَى التَّحْقِيقِ، لَيْسَ لِمَنْ ارْتَدَى الرَّقِيقَ وَهَجَرَ الشَّقِيقَ، وَلَا لِمَنْ رَكِبَ الْأَنِيقَ وَذَمَّ الصَّدِيقَ، وَلَا لِمَنْ أَكَلَ السَّلِيقَ وَأَغْضَبَ الرَّفِيقَ، وَلَا لِمَنْ لَبَسَ الْعَقِيقَ وَفَرَّقَ الْفَرِيقَ.

لَكِنَّ الْعِيدَ كَمَا أَرَاهُ، هُوَ لِمَنْ أَطَاعَ إِلَهَهُ وَمَوْلَاهُ^(١٩)، وَعَصَى شَيْطَانَهُ وَهَوَاهُ^(٢٠)، وَبَرَّ أُمَّهُ وَأَبَاهُ، وَوَصَلَ أُخْتَهُ وَأَخَاهُ، وَبَدَّلَ مَالَهُ وَالْجَاهُ، وَعَرَفَ الْحَقَّ وَرَعَاهُ، فَذَاكَ الَّذِي بَلَغَ مِنَ التَّوْفِيقِ مُنْتَهَاهُ.

وَلَمْ يُعَكِّرْ صَفْوَةَ الْعِيدِ إِلَّا ذَاكَ السَّاهِي اللَّاهِي، الَّذِي جَعَلَ فَرْحَتَهُ فِي الْمَعَارِزِ وَالْمَلَاهِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ هَمٌّ إِلَّا هِيَ، غَيْرَ عَابِيٍّ بِمَا وَرَدَ فِيهَا مِنَ الْمَنَاهِي^(٢١)، وَلَوْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى غَضَبِ اللَّهِ^(٢٢).

لَكِنَّ لَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي الْعِيدِ شَيْءٌ مِنَ اللَّعِبِ وَاللَّهُوِ^(٢٣)، بِشَرَطِ أَنْ لَا يَخْرُجَ إِلَى حَدِّ الْبَطْرِ وَالزَّهْوِ،

فِيُوقِعَ صَاحِبُهُ فِي الطَّيْشِ وَالسَّهْوِ، وَيَكُونُ أَخْسَرَ صَفْقَةً مِنْ
شَيْخِ مَهْوٍ (٢٤).



قَالَ أَبُو الْفَرَجِ: فَلَمَّا رَأَيْتُهُ بَحْرًا لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ، وَفَيْضًا
لَا يَغِيضُ بَعْدَ الْاِمْتِلَاءِ. عَرَفْتُ أَنِّي عَلَى الْخَيْرِ سَقَطْتُ،
وَمِنَ الْبَحْرِ التَّقَطُّ. فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْبِدْعِ فِي الْعِيدِ، وَمَا يَفْعَلُهُ
فِيهِ الْجَهْلَةُ الْمَنَاكِيْدُ، مِمَّا يَقْدَحُ فِي جَنَابِ التَّوْحِيدِ.

فَلَمَّا سَمِعَ سُؤَالَي اِهْتَمَّ وَاعْتَمَّ. وَتَحَسَّفَ وَتَأَسَّفَ.
ثُمَّ قَالَ: أَمَّا الْبِدْعُ فِي الْعِيدِ فَحَدَّثْتُ وَلَا حَرَجَ، فَقَدْ أَحَدَتْ
فِي الدِّينِ كُلِّ مَنْ دَبَّ وَدَرَجَ، حَتَّى ذُبُلَتْ زَهْرَتُهُ وَذَهَبَ مَا
فِيهَا مِنَ الْأَرْجِ (٢٥)، فَاحْذَرِ أَنْ تَسْلِكَ مَسَالِكَهُمْ يَا أَبَا الْفَرَجِ،
وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ وَالْفَرَجِ.

ثُمَّ أَنْشَدَنِي مَا نَظَّمَهُ فِي ذَلِكَ؛ تَحْذِيرًا مِنْ تِلْكَ الْمَهَالِكِ:

سَأَلْتَنِي يَا طَالِبَ التَّوْحِيدِ
 عَمَّا أَتَى مِنْ بَدَعٍ فِي الْعِيدِ
 إِعْلَمْ هُدَيْتَ أَنَّهَا كَثِيرَةٌ
 لَكِنَّهَا مَرْدُودَةٌ كَسِيرَةٍ
 مِنْهَا الَّذِي يَدْعُوهُ أَهْلُ النَّقْصِ
 بِـ «عِيدِ الْإِبْرَارِ»، بِغَيْرِ نَصِّ (٢٦)
 وَمِثْلُهُ فِي قُبْحِهِ التَّشْبَهُ
 بِكَافِرٍ، فَوَجَبَ التَّنْبَهُ
 لَا سِيَّمَا لِلْمُشْرِكِينَ الْكُفْرَةَ
 أَوْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الْفَجْرَةَ (٢٧)
 فَاحْذَرِ مِنَ الْإِسْلَاسِ فِي قِيَادِهِمْ
 فِيمَا يُمَارِسُونَ مِنْ أَعْيَادِهِمْ (٢٨)
 وَمِنْهُ تَخْصِيصُ الْقُبُورِ يَوْمَهَا
 بِزُورَةٍ بَعْدَ الصَّلَاةِ، ذُمَّهَا (٢٩)

كَذَاكَ تَنْوِيرُ الْمَسَاجِدِ الَّذِي

يَفْعَلُهُ الطَّغَامُ، فَكْرَهُ وَانْبُدِ (٣٠)

وَمِنْهُ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالتَّكْبِيرِ

خَلْفَ إِمَامِ النَّاسِ، مَنْ عَدِيرِي؟ (٣١)

كَذَا النِّدَاءُ بِـ "الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ"

أَوْ الْأَذَانُ لِلصَّلَاةِ، فَاْمْنَعَهُ (٣٢)

وَمِثْلُهُ إِحْيَاءُ لَيْلِ الْعِيدِ

بِكَثْرَةِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (٣٣)

كَذَاكَ تَقْدِيمُ لِحُطْبَةِ عَلِيٍّ

صَلَاةِ عِيدِ، لَيْسَ مِمَّا نُقْلَا (٣٤)

أَوْ بَدْوُهَا يَا صَاحِ بِالتَّكْبِيرِ

مِنْ قَبْلِ حَمْدِ الْخَالِقِ الْقَدِيرِ (٣٥)

فَهَذِهِ بَعْضُ الضَّلَالَاتِ الَّتِي
تُفَعَّلُ فِي عِيدِ بِلَا تَثْبُتِ!



ثُمَّ سَأَلْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ بَعْضِ مَا جَاءَ عَنِ الشُّعْرَاءِ، مِنْ
اسْتِثْقَالِ شَهْرِ الصَّوْمِ وَالْفَرَحِ بِانْقِضَائِهِ دُونَ حَيَاءٍ.

فَقَالَ لِي: لَقَدْ أَسَاءَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، لَا
سِيِّمًا مَنْ ذَمَّ الصَّوْمَ مِنْهُمْ وَمَدَحَ الْخَمْرَ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي
نَبَذَ التَّمْرَ وَأَخَذَ الْجَمْرَ.

وَقَدْ هَدَمْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ مَا شَيَّدُوهُ، وَنَقَضْتُ بِفَضْلِ اللَّهِ
مَا أَنْشَدُوهُ (٣٦):

أَمَّا قَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ (٣٧):

دَعَانِي شَهْرُ الصَّوْمِ لَا كَانَ مِنْ شَهْرٍ
وَلَا صُمْتُ شَهْرًا بَعْدَهُ آخِرَ الدَّهْرِ!

فَلَوْ كَانَ يُعْدِينِي الْأَنَامُ بِقُدْرَةٍ
عَلَى الشَّهْرِ لَأَسْتَعْدَيْتُ جَهْدِي عَلَى الشَّهْرِ! (٣٨)

فَقَدْ نَقَضْتُهُ بِقَوْلِي:

دَعَانِي شَهْرُ الصَّوْمِ لِلْخَيْرِ وَالْبِرِّ
فَصُمْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ أَرْغَبُ فِي الْأَجْرِ
فَلَوْ كَانَ يُعْطِينِي الْأَنَامُ شُهُورَهُمْ
لَزِدْتُ بِهَذَا الْفَضْلِ تَيْهًا عَلَى الْبَدْرِ

وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ (٣٩):

أَلَا يَا شَهْرُ كَمْ تَبْقَى؟ مَرِضْنَا، وَمَلَلْنَاكَ!
إِذَا مَا ذُكِرَ الْحَمْدُ لِسَوَالٍ، ذَمَّ نَاكَ!
فِيَا لَيْتَكَ قَدْ بِنْتَ وَمَا نَطَمَعُ فِي ذَاكَ
وَلَوْ أَمَكَّنَ أَنْ يُقْتَلَ لَشَهْرٌ لَقَتَلْنَاكَ! (٤٠)

فَقَدْ نَقَضْتُهُ بِقَوْلِي:

أَلَا يَا شَهْرُ دُمْ وَابِقَ سَعِدْنَا مُذْ لَقِينَاكَ
فَفِيكَ الْأَجْرُ مُجْتَمِعٌ وَمَا أَحْسَنَ ذِيَاكَ
فِيَا لَيْتَكَ لَا تَمْضِي فَهَلْ نَطْمَعُ فِي ذَاكَ؟
وَلَوْ أَمْكَنَ أَنْ نَفْدِيكَ يَا شَهْرُ فَذَيْنَاكَ

وَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ الرَّؤْمِيِّ (٤١):

شَهْرُ الصِّيَامِ وَإِنْ عَظَّمْتَ حُرْمَتَهُ
شَهْرٌ ثَقِيلٌ بَطِيءُ السَّيْرِ وَالْحَرَكَه!
يَمْشِي رُوَيْدًا، فَأَمَّا حِينَ يَطْلُبُنَا

فَلَا السُّلَيْكُ يُدَانِيهِ وَلَا السُّلَكَةُ! (٤٢)

كَأَنَّهُ طَالِبٌ ثَارًا عَلَى فَرَسٍ
أَجَدَّ فِي إِثْرِ مَطْلُوبٍ عَلَى رَمَكِهِ! (٤٣)

شَهْرٌ كَانَ وَقُوعِي فِيهِ مِنْ قَلْقِي
وَسُوءِ حَالِي وَقُوعِ الْحُوتِ فِي الشَّبَكَةِ!

لَوْ كَانَ مَوْلَى وَكُنَّا كَالْعَبِيدِ لَهُ
 لَكَانَ مَوْلَى بَخِيلًا سَيِّءَ الْمَلَكَةِ!
 قَدْ كَادَ لَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ يُسَلِّمُنَا
 إِلَى الرَّدَى، وَيُؤَدِّينَا إِلَى الْهَلَكَةِ (٤٤)

فَقَدْ نَقَضْتُهُ بِقَوْلِي:

شَهْرُ الصِّيَامِ خَفِيفُ السَّيْرِ وَالْحَرَكَه
 عَلَى الْمُجِدِّ لِنَيْلِ الْأَجْرِ وَالْبَرَكَه
 أَمَّا الْكِنُودُ (٤٥) فَشَهْرُ الصَّوْمِ يُزْعِجُهُ
 كَأَنَّهُ الْحُوتُ لَمَّا صَارَ فِي الشَّبَكَةِ!
 فَالصَّوْمُ نَوْعُ جِهَادٍ لَيْسَ يُرْغَبُهُ
 إِلَّا الَّذِي خَافَ يَوْمَ الْحَسْرَةِ الْهَلَكَةَ (٤٦)
 فَدَعَكَ مِنْ شِعْرِ هَذَا أَخِي سَفَهُ
 مَا كَانَ أَحْسَنَهُ لَوْ أَنَّهُ تَرَكَهُ!

وَقُلْ لِمَنْ ذَمَّ شَهْرَ الصَّوْمِ فِي نَزَقٍ: (٤٧)

لَنْ يُسْتَطَابَ صِيَاْحُ الْبُومِ وَالذِّيْكَةُ!

وَأَمَّا قَوْلُ الطُّغْرَائِيِّ: (٤٨):

قُومُوا إِلَيَّ لَذَاتِكُمْ يَا نِيَامَ

وَأَتَرِعُوا الْكَأْسَ بِصَفْوِ الْمُدَامِ! (٤٩)

هَذَا هِلَالُ الْفِطْرِ قَدْ جَاءَنَا

بِمِنْجَلٍ يَحْصُدُ شَهْرَ الصِّيَامِ! (٥٠)

فَقَدْ نَقَضْتُهُ بِقَوْلِي:

هُبُّوا لِصَوْمِ السَّتِّ وَاسْتَبْشِرُوا

مِنْ بَعْدِ مَا وَدَّعَ شَهْرُ الصِّيَامِ

فَقَدْ آتَى النَّصُّ بَأَنَّ الَّذِي

يَصُومُهَا يُرْجَى لَهُ صَوْمٌ عَامٌ

وَأَمَّا قَوْلُ أَحْمَدَ شَوْقِي (٥١):

رَمَضَانُ وَلَّى هَاتِهَآ يَا سَاقِي
 مُشْتَاقَةٌ تَسْعَى إِلَيَّ مُشْتَاقٍ!
 مَا كَانَ أَكْثَرَهُ عَلَى الْأَفْهَآ
 وَأَقَلَّهُ فِي طَاعَةِ الْخَلَاقِ
 بِالْأَمْسِ قَدْ كُنَّا سَجِينِي طَاعَةً
 وَالْيَوْمَ مَنَّ الْعِيدُ بِالْإِطْلَاقِ! (٥٢)

فَقَدْ نَقَضْتُهُ بِقَوْلِي:

رَمَضَانُ وَلَّى يَا لِحَرِّ فِرَاقِ
 يَبْكِيهِ أَهْلُ الْفَضْلِ بِالْأَمَاقِ
 هَذَا الصَّحِيحُ وَلَا مَقَالَةَ عَابِثٍ:
 «رَمَضَانُ وَلَّى هَاتِهَآ يَا سَاقِي!»
 فَالْحَمْرُ فِي كُلِّ الشُّهُورِ قَبِيحَةٌ
 فَهِيَ الْخَبَاثُ وَلَذَّةُ الْفُسَّاقِ (٥٣)

وَالسَّجْنُ لَيْسَ لِمَنْ أَطَاعَ إِلَهَهُ
بَلْ لِلَّذِي قَدْ عَاشَ فِي الْأَوْهَاقِ! (٥٤)



وَقَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ الشَّيْخُ قَالَ لِي مُقْتَرِحًا، وَقَدْ أَضْحَى
صَدْرُهُ بَعْدَ اللَّقَاءِ مُشْرَحًا. قَدْ كَتَبَ جَدُّكَ الْأَزْدِيُّ مِنْ قَبْلُ
مَقَامَةَ عِيدِ الْأَضْحَى فَاكْتُبْ أَنْتَ مَقَامَةَ عِيدِ الْفِطْرِ (٥٥)، كَمَا
أَنَّكَ قَرَنْتَنِي وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذِيبَ لَكَ الْأَلْفَاظَ كَمَا أَذَابَ لِدُنِّي
الْقَرْنَيْنِ صَفَائِحَ الْقَطْرِ (٥٦).

فَوَقَعَ الْكَلَامُ مِنِّي مَوْعًا مُسْتَحْسَنًا
وَفَاحَ نَشْرُهُ كَمَا لَوْ كَانَ أَهْدَى سَوْسَنًا
فَقَدْ أَزَاحَ عَن فُؤَا دِي وَعُيُونِي الْوَسَنًا
وَزَادَنِي نُورًا يُضِي ءُ لِي طَرِيقِي وَسَنًا
حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي وَرِثْتُ مِنْهُ اللَّسَنًا!

مَقَامَةُ الْعِيدِ

ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُ أَنْ أُحَقِّقَ مَرَامَهُ؛ لِأَنَالَ احْتِرَامَهُ، وَأَسْتَدْفِعَ
مَلَامَهُ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْمَقَامَةُ!

تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ



(١) **شَوَّالٌ** بوزن صَوَّامٍ مَصْرُوفٌ: وهو الشهرُ الذي يلي شهرَ رمضانَ. والجمعُ: شَوَّالَاتٌ وشَوَّاوِيْلٌ. سُمِّيَ بذلك؛ لكونِ الإبلِ كانت فيه حالَ التسميةِ شُوْلًا، وهي التي جَفَّ لبنُها وشالت بأذنانها؛ طلبًا للتلقيح. **انظر:** لسان العرب لابن منظور (٦/ ٨٣)، والمطلع على ألفاظ المقنع للبعلي (ص: ١٨٣).

(٢) **فائدة:** اعلم أن الأَفْصَحَ تركُ إضافةِ لفظِ شهرٍ إلى شِوَالٍ، وكذا بقية الأشهر ما عدا ثلاثة: رمضان، وربيع أول، وربيع ثان. وقد أشار إلى ذلك الأجهوري بقوله:

وَلَا تُضِفُ شَهْرًا لِلْفِظِ شَهْرٍ إِلَّا الَّذِي أَوْلَهُ الرَّاءُ فَادِرٍ
وَاسْتَنْ مِنْ ذَا رَجَبًا فَيَمْتَنِعُ لِأَنَّهُ فِيمَا رَوَّوهُ مَا سُمِعَ
وَالأَمْرُ فِيهِ سَعَةٌ، فَقَدْ اسْتَعْمَلُوا هَذَا وَهَذَا. كَمَا أَنَّ اسْتِثْنَاءَ "رَجَبٍ"
غَيْرِ مُسَلِّمٍ، فَقَدْ سُمِعَ، إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلٌ جِدًّا، كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ نَصْرُ
الهُورِينِي.

انظر: إعانة الطالبين على حلِّ ألفاظ فتح المعين للبكري (٢/ ٣٠٧)،
وردِّ المحتار على الدرِّ المختار لابن عابدين (٢/ ٣٧١)، وروح
المعاني للألوسي (١/ ٤٥٧)، والمطالع النصرية للهوريني (ص:
٤٠٠).

(٣) **نَتٌّ:** قال ابنُ فارس: "النُّونُ وَالثَّاءُ أَصْلُ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى نَشْرِ شَيْءٍ
وَأَنْتِشَارِهِ". مَقَائِيسُ اللُّغَةِ (٥/ ٣٥٣).

(٤) **بَدَّ: قال ابن فارس:** "الْبَاءُ وَالذَّالُ أَصْلُ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْغَلْبَةُ وَالْقَهْرُ وَالْإِذْلَالُ. يُقَالُ: بَدَّ فُلَانٌ أَقْرَانَهُ: إِذَا غَلَبَهُمْ، فَهُوَ بَادٌ يَبْدُهُمْ".
المصدر نفسه (١/١٧٧).

(٥) **قال حفص بن غياث:** "رَأَيْتُ الْأَعْمَشَ خَارِجًا إِلَى الْعِيدِ عَلَى حِمَارٍ مَقْتُوعِ الذَّنْبِ قَدْ سَدَلَ رِجْلِيهِ مِنْ جَانِبٍ!". عيون الأخبار لابن قتيبة (١/٣٧٨).

وقال محمد بن يزيد بن خنيس: "رَأَيْتُ وَهَيْبَ بْنَ الْوَرْدِ صَلَّى ذَاتَ يَوْمٍ الْعِيدَ فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّاسُ جَعَلُوا يَمُرُّونَ بِهِ فَنظَرَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ رَقَى، ثُمَّ قَالَ: لَيْنُ كَانَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ أَصْبَحُوا مُشْفِقِينَ أَنَّهُ قَدْ يَقْبَلُ مِنْهُمْ سَهْرُهُمْ هَذَا، لَكَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا مَشَاغِلَ بِأَدَاءِ الشُّكْرِ عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُصْبِحُوا أَشْغَلَ وَأَشْغَلَ". حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني (٨/١٤٩).

(٦) **لم يرد في التهئة بالعيد خبر ثابت مرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم.**
لكن ورد عن الصحابة **رضي الله عنهم** أنهم كانوا إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: "تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنكَ"، نقل ذلك عنهم التابعي جبير بن نفير الحضرمي **رحمة الله**. وحسن إسناده ابن حجر **رحمة الله** في فتح الباري (٢/٤٤٦)، والسيوطي **رحمة الله** في الحاوي للفتاوي (١/٩٤)، وقواه الألباني **رحمة الله** في تمام المنة (ص: ٣٥٥)، وفي سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٢/٣٨٧).

وقد سُئِلَ الإمامُ مالكٌ رَحِمَهُ اللهُ: هل يُكره للرجل أن يقول لأخيه إذا انصرف من العيد: تقبل الله مني ومنك، وغفر الله لنا ولك، ويردّ عليه أخوه مثل ذلك، فقال لي: لا نكره مثل ذلك.

قال محمد بن رُشد: حكى ابنُ حبيبٍ في "الواضحة" عن مالكٍ من رواية مطرّف وابن كنانة أنه سئل عن ذلك فقال: لا أعرفه ولا أنكره، يريد أنه لا يعرفه في السُّنَّة، ولا يُنكره لأنه قولٌ حسنٌ. قال ابنُ حبيب: وقد رأيتُ ذلك يقال لمن أدركتُ من أصحاب مالك فيردّون منه ولا يستنكرونه، إلا أني لم أرهم يبدؤون به أحداً. قال: ولا بأس أن يبدأ به إخوانه؛ لأنه إن كان فِطْرًا فهو على إثر خاتمة الصيام وأداء الفِطْرَة، وإن كان أضحى فهو على إثر صيام العشر وعلى إثر التضحية. البيان والتحصيل لابن رشد (٤٥٢ / ١٨).

وقال أبو داود: "سمعتُ أحمدَ سئل عن قوم قيل لهم يوم العيد: تقبل الله منّا ومنك، قال: أرجو أن لا يكون به بأس". مسائل الإمام أحمد (ص: ٦١).

وقال حربٌ: "سئل أحمدٌ عن قول الناس في العيدين تقبل الله منّا ومنكم. قال: لا بأس به، يرويه أهل الشام عن أبي أمامة. قيل: وواثلة بن الأسقع؟ قال: نعم. قيل: فلا تكره أن يُقال هذا يوم العيد. قال: لا". المغني لابن قدامة (٢٩٤ / ٣).

وجاء في مسائل أحمد بن حنبل رواية ابن هانئ (ص: ١٦٥): "سئل عن الرجل يلقي الرجل يومَ الفطر، فيقول: تقبل الله منّا ومنك؟

قال: يَرَدُّ عَلَيْهِ، وَإِنْ ابْتَدَأَ بِهِ فَلَا بَأْسَ".

- **أَمَّا مَا تَعَارَفَ النَّاسُ** عَلَى التَّهْنِئَةِ بِهِ - سَوَى مَا تَقَدَّمَ - مِمَّا لَيْسَ فِيهِ مَحْذُورٌ شَرْعِيٌّ، فَلَا بَأْسَ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، كَقَوْلِهِمْ: (كُلَّ عَامٍ أَنْتُمْ بِخَيْرٍ)، أَوْ (مَنْ الْعَائِدِينَ الْفَائِزِينَ)، أَوْ (عِيدُكُمْ مَبَارِكٌ)، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَقَدْ سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَلِ التَّهْنِئَةُ فِي الْعِيدِ وَمَا يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ: "عِيدُكَ مَبَارِكٌ" وَمَا أَشْبَهَهُ، هَلِ لَهُ أَصْلٌ فِي الشَّرِيعَةِ، أَمْ لَا؟ وَإِذَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ فِي الشَّرِيعَةِ، فَمَا الَّذِي يُقَالُ؟ أَفْتُونَا مَا جُورِينَ.

فَأَجَابَ: أَمَّا التَّهْنِئَةُ يَوْمَ الْعِيدِ بِقَوْلِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ إِذَا لَقِيَهِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِيدِ: تَقْبِلُ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ، وَأَحَالَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا قَدْ رُوي عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَهُ وَرَخَّصَ فِيهِ الْأَئِمَّةُ كَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِ.

لَكِنْ قَالَ أَحْمَدُ: أَنَا لَا أَبْتَدِئُ أَحَدًا، فَإِنْ ابْتَدَأَنِي أَحَدٌ أَجَبْتُهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ جَوَابَ التَّحِيَّةِ وَاجِبٌ، وَأَمَّا الْإِبْتِدَاءُ بِالتَّهْنِئَةِ فَلَيْسَ سُنَّةً مَأْمُورًا بِهَا، وَلَا هُوَ أَيضًا مِمَّا نُهِيَ عَنْهُ، فَمَنْ فَعَلَهُ فَلَهُ قُدُورَةٌ، وَمَنْ تَرَكَهُ فَلَهُ قُدُورَةٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. الْفَتَاوَى الْكُبْرَى (٢/ ٣٧١).

كَمَا سُئِلَتْ اللِّجْنَةُ الدَّائِمَةُ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ فِي السُّعُودِيَّةِ عَنِ التَّهْنِئَةِ بِ- (تَقْبِلُ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ) وَ(مَنْ الْعَائِدِينَ وَالْفَائِزِينَ) وَ(عِيدُكُمْ مَبَارِكٌ) وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ عِبَارَاتِ التَّهْنِئَةِ.

فأجابت: "أما تهنئة المسلمين بعضهم لبعض بالعيد بمثل العبارات المذكورة في السؤال فإنه لا بأس بها؛ لما فيها من دعاء الأخ المسلم لأخيه بقبول العمل وطول العمر والسعادة، ولا محذور في ذلك". فتاوى اللجنة الدائمة (٧ / ١٥٥).

وأجازها أيضًا العلامةُ ابنُ بازٍ كما في فتاوى نور على الدرب - بعناية محمد الشويعر - (١٣ / ٣٧٧).

- **ضميمة:** نقلت لنا كتبُ التاريخ والأدب والرسائل ألوانًا كثيرةً من عبارات التهنية بعيدِ الفِطْرِ نثرًا وشعرًا.

أمَّا النثرُ فكثيرٌ جدًّا، وأمَّا الشعرُ فقد أعجبنى منه **قولُ ابنِ الرومي:**

قَدْ مَضَى الصَّوْمُ صَاحِبًا مَحْمُودًا
وَأَتَى الْفِطْرُ صَاحِبًا مَوْدُودًا
ذَهَبَ الصَّوْمُ وَهُوَ يَحْكِيكَ نُسْكًَا
وَأَتَى الْفِطْرُ وَهُوَ يَحْكِيكَ جُودًا

وقوله أيضًا:

لِلنَّاسِ عَيْدٌ وَلِي عِيدَانِ فِي الْعِيدِ
إِذَا رَأَيْتُكَ يَا ابْنَ السَّادَةِ الصَّيْدِ
إِذَا هُمْ عَيَّدُوا عَيْدَيْنِ فِي سَنَةٍ
كَانَتْ بِوَجْهِكَ لِي أَيَّامُ تَعْيِيدِ!

مَقَامَةُ الْعِيدِ

قَالُوا: اسْتَهَلَّ هِلَالُ الْفِطْرِ قُلْتُ لَهُمْ:
وَجْهَ الْأَمِيرِ هِلَالٌ غَيْرُ مَفْقُودٍ!
بَدَا الْهِلَالُ الَّذِي اسْتَقْبَلْتُ طَلْعَتَهُ
مُقَابِلًا بِهِلَالٍ مِنْكَ مَسْعُودٍ

وقول الصابي:

يَا سَيِّدًا أَضْحَى الزَّمَا نُبَأُئْسِهِ مِنْهُ رَبِيعَا
أَيَّامُ دَهْرِكَ لَمْ تَزَلْ لِلنَّاسِ أَعْيَادًا جَمِيعَا
حَتَّى لَا وَشَكَ بَيْنَهَا عِيدُ الْحَقِيقَةِ أَنْ يَضِيعَا!

وقول أبي بكر الخالدي:

رَأَى الْعِيدُ وَجْهَكَ عِيدًا لَهُ
وَإِنْ كَانَ زَادَ عَلَيْهِ جَمَالًا
وَكَبَّرَ حِينَ رَأَى الْهِلَالَ
كَفَعَلِكَ حِينَ رَأَيْتَ الْهِلَالَ!
رَأَى مِنْكَ مَا مِنْهُ أَبْصَرْتَهُ
هِلَالًا أَضَاءَ وَوَجْهًا تَلَالًا

وقول محمد بن حمديس:

لِيَهْنِكَ شَهْرُ الصَّوْمِ لَا زِلْتَ مُدْرَكًا
بِأَمْثَالِهِ تَأْتِي عَلَيْهِ وَتَذْهَبُ

وَصُمْتَ بِهِ عَنْ كُلِّ إِثْمٍ مُحَرَّمٍ
صِيَامَ الْوَرَى أَنْ يَأْكُلُوهُ وَيَشْرَبُوا
إِلَى أَنْ لَقِيتَ الْعِيدَ بِالْجِدِّ فِي التَّقَى
وَعَيْرُكَ بِالْأَيَّامِ يَلْهُو وَيَلْعَبُ

وقول أشجع بن عمرو السلمي في أبيات منها:

لَا زِلْتَ تَنْشُرُ أَعْيَادًا وَتَطْوِيهَا
تَمْضِي بِهَا لَكَ أَيَّامٌ وَتُثْنِيهَا
مُسْتَقْبَلًا غُرَّةَ الدُّنْيَا وَبَهَجَتَهَا
أَيَّامَهَا لَكَ نَظْمٌ فِي لِيَالِيهَا
إِنَّ الْخَلِيفَةَ سَيْفٌ لَا يُجَرِّدُهُ
إِلَّا الَّذِي يَمْلِكُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
مَا قَارَعَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا عَدَّوَّهُمَا
بِمِثْلِ هَارُونَ رَاعِيهِ وَرَاعِيهَا

قال أبو هلال العسكري: "لست أختار من التهاني بالأعياد على أبيات أشجع شيئاً".

انظر: ديوان المعاني للعسكري (١ / ٩٢)، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون (٤ / ١٧١ - ١٧٢)، وخريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء المغرب والأندلس - للأصبهاني ج ٢ (ص: ٢٠٧).

(٧) **سُئِلَ الْإِمَامُ مَالِكٌ** عن التهادي للقرابة في يوم العيد والتزاور بعضهم لبعض، فأجاز ذلك. ومعناه إذا لم يقصد زيارته في يوم العيد من أجل أنه يوم العيد حتى يجعل ذلك من سنة العيد، وإنما زار قريبه أو أخاه في الله **عَزَّوَجَلَّ** من أجل تفرغه لزيارته في ذلك اليوم. فما أحدث الناس اليوم من التزام التزاور في ذلك اليوم كالسنة التي تلزم المحافظة عليها وترك تضييعها، هو بدعة من البدع المكروهة، تركها أحسن من فعلها. **انظر:** البيان والتحصيل لابن رشد (٤٥٣ / ١٨).

كما سُئِلَتِ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في السعودية عمّا تعارف الناس على ذبحه من المواشي في عيد الفطر؛ إظهاراً للفرح، وتكريماً لضيوفهم الذين يردون عليهم، وكذا تراورهم في العيد؛ صلة لأرحامهم، وإدخالاً للسرور على جيرانهم وإخوانهم المسلمين.

فأجابت: لا بأس بذبح بعض الذبائح في عيد الفطر إكراماً للضيوف الذين يزورون من يذبح تلك الذبائح، لكن بقدر ما يكفي للزائر، مع عدم الإسراف والفخر في ذلك. فتاوى اللجنة الدائمة (١٥٥ / ٧).

(٨) **المُعَايِدَة:** مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْفِعْلِ عَايَدَ يُعَايِدُ فَهُوَ مُعَايِدٌ، وَالْمَفْعُولُ مُعَايِدٌ. وَمِنْهُ: بَطَاقَةُ الْمُعَايِدَةِ. وَمَعْنَاهَا: التَّهْنِئَةُ بِالْعِيدِ. وَهِيَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمَوْلُودَةِ الْمَعَاصِرَةِ. **وانظر:** معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر (١٥٧١ / ٢).

وقد تقدّم في الحاشية السابقة الكلام على مسألة التزاور يوم العيد وأنه لا بأس به.

(٩) المَعْضُ: الغَضْبُ. تاج العروس للزبيدي (٦٤ / ١٩).

(١٠) البَنَكْنُوتُ: أوراقٌ نَقْدِيَّةٌ يتعامل بها النَّاسُ بدلاً من المسكوكاتِ النقديَّةِ، وأوَّلُ من اتخذها هم الصِّينِيُّونَ، وهي الجارية تعاملُ الناسِ بها في هذا العصر. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر (١ / ٢٤٩).

لطيفة: قال الواقدي: كان لي صديقان أحدهما هاشمي والآخر نبطي، وكنا كنفسٍ واحدة، فنالتني ضائقةٌ شديدة، وحضر العيدُ فقالت لي امرأتي: يا هذا، أمّا نحن فنصبر على البؤس والشدة، وأمّا صبياننا فقد قطعوا قلبي رحمةً لهم؛ لأنهم يرون صبيانَ جيرانهم قد تزيّنوا في عيدهم، وأصلحوا من شأنهم، وهم على هذه الحال، فلو احتلت في شيءٍ نصرفه في كسوتهم.

قال: فكتبتُ إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة عليّ بما حضر. فوجه إليّ كيسًا مختومًا، وذكر أنّ فيه ألفَ درهم. فما استقرّ قراره عندي حتى كتب إليّ الصديقُ الآخرُ يشكو إليّ مثل ما شكوتُ إلى صاحبي. فوجّهتُ إليه بالكيسِ كهبيته، وخرجتُ إلى المسجد، فأقمتُ ليلتي مُستحيًا من امرأتي، فلما دخلتُ عليها، استحسنتُ ما كان مني، ولم تُعنفني عليه.

فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس بحاله، وقال: اصدقني عما فعلته فيما وجهتُ به إليك. فعرفته الخبرَ على جهته، فقال: إنك وجهت إليّ وما أملك على وجه الأرض غير الذي بعثتُ به إليك، وكتبتُ إلى صديقنا أسأله المواساة، فوجه إليّ بالكيس وهو بختمي. قال: فتواسينا الألف درهمٍ فيما بيننا أثلاثاً بعد أن أخرجنا للمرأة مئة درهم!

ونما خبرنا إلى المأمون، فأمر لنا بسبعة آلاف دينارٍ، لكلِّ منّا ألفا دينارٍ، وللمرأة ألف دينارٍ!! أنس المسجون وراحة المحزون لصفي الدين الحلبي (ص: ٢١٧).

(١١) السُّتُّ: لفظٌ مُؤلِّدٌ يُطلَقُ على المرأة، جمعُه: سِتَات، وسُتُوت. **انظر:** المعجم الوسيط (ص: ٤١٦)، وتكملة المعاجم العربية لدوزي (٣٢ / ٦)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر (١٠٣٢ / ٢).

وجاء في القاموس المحيط (ص: ١٥٣) وشرحه تاج العروس (٥٤٧ / ٤): (و) قَوْلُهُمْ: (سِتِّي لِلْمَرْأَةِ، أَي: يَا سِتَّ جِهَاتِي)، كَأَنَّهُ كِنَايَةٌ عَنِ تَمَلُّكِهَا لَهُ، هَكَذَا تَأَوَّلَهُ ابْنُ الْأَبَّارِيِّ. (أَوْ) هُوَ (لَحْنٌ). وَفِي "شِفَاءِ الْغَلِيلِ": "عَامِيَّةٌ مُبْتَدَلَةٌ، كَذَا قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ. (وَالصَّوَابُ: سَيِّدَتِي)، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْأَصْلَ سَيِّدَتِي، فَحُذِفَ بَعْضُ حُرُوفِ الْكَلِمَةِ، وَلَهُ نَظَائِرٌ، قَالَ الشَّهَابُ الْقَاسِمِيُّ وَأَنشَدْنَا غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ مَشَايخِنَا لِلْبَهَاءِ زُهَيْرٍ:

بِرُوحِي مَنْ أَسَمِّيَهَا سِتِّي
 فَيَنْظُرُنِي النُّحَاهُ بِعَيْنِ مَقْتٍ
 يَرُونَ بِأَنِّي قَدْ قُلْتُ لَحْنًا
 وَكَيْفَ وَإِنِّي لَزُهَيْرُ وَقْتِي؟
 وَلَكِنْ غَاذَةٌ مَلَكَتْ جِهَاتِي
 فَلَا لَحْنَ إِذَا مَا قُلْتُ: سِتِّي!

(١٢) **المَغْرِبِي والحَسَائِي**: نوعان من أنواع النَّعْنَاع. وهو نبات له رائحة طيبة يُستعمل في الطعام والشراب وتركيب الدواء وغير ذلك. وله أنواع وأسماء أخرى كثيرة.

انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٧ / ١٠)، والمعجم الوسيط (١ / ١٥٢)، والمعجم المحيط (ص: ٢٥٦٤).

قلتُ: لعلَّ الحَسَائِيَّ - وَيُسَمَّى (الحَبَق) أَيضًا، والعامَّة يقولون: الحَسَاوي! - نسبةً إلى وادي الحَسَا - بفتح الحاء أو بكسرهما -، ويقع في قبليّ ذي الحليفة ميقات أهل المدينة، وهو وادٍ فيه آبارٌ ومزارعٌ شتّى، وهو المذكورُ في شعرِ عبدِ الله بنِ رَواحةٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يخاطبُ ناقته:

إِذَا أَدَيْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعِ بَعْدَ الْحَسَاءِ
 فَشَأْنُكَ أَنْعَمٌ وَخَلَاكِ ذَمٌّ وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي

انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٤١٨ / ٦)، والجواهر الثمينة في محاسن المدينة للحسيني، بتحقيق: عائض الرّداوي (ص: ٣٤٧)

وجزم المحققُ بهذه النسبة.

(١٣) **المُمَاحَكَةُ:** المناقشة والمجادلة والمُحَاجَّة. **انظر:** المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٣/٥٢)، وتاج العروس للزبيدي (٢٧/٣٢٩)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر (٣/٢٠٧٢).

(١٤) **الْقُدُوع:** كلمةٌ مولدةٌ تستعمل في منطقة نجد، تُطلق على القهوة والتمر الذي يُقدَّم للضيف. ويُقال للضيف: اقدَع، يعني: كُلْ. وكان شيخنا المحدثُ حمادُ بنُ محمدِ الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ كَثِيرًا ما يُردِّدُ في مجالسه إذا زُرناه: "قهوةٌ بلا قُدُوع، كصلاةٍ بلا خُشُوع، لا تُسمن ولا تُغني من جُوع!".

وانظر: المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري لعبد الأول الأنصاري (٢/٦٨٦)، ورمضان والعيد عادات وتقاليد لمحمد رجب السامرائي (ص: ٢٥).

(١٥) **يُقَالُ:** ضَاعَ الشَّيْءُ يَضُوعٌ ضَوْعًا مِنْ بَابِ قَالَ. أَي: طَابَتْ رَائِحَتُهُ وَفَاحَتْ. **انظر:** المصباح المنير للفيومي (٢/٣٦٥)، والمعجم الوسيط (١/٥٤٦).

(١٦) **اعتادَ الناسُ في عيدِ الفِطْرِ صُنْعَ الحَلْوَى وشراءَها والمبالغةَ في ذلك.**

وليس هذا خاصًا بعصرنا بل هو قديمٌ، ففي البصائر والذخائر للتوحيدي (٤/١٣٩): **"قال عُثْمَانُ الصَيْدَلَانِي:** شهدتُ إبراهيمَ

الْحَرْبِيِّ وَقَدْ أَتَاهُ حَائِكٌ فِي يَوْمِ عِيدٍ فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ صَلَّى صَلَاةَ الْعِيدِ وَلَمْ يَشْتَرِ نَاطِفًا مَّا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ؟ فَتَبَسَّمَ إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ قَالَ: يَتَصَدَّقُ بِدِرْهَمَيْنِ خُبْزًا، فَلَمَّا مَضَى قَالَ: مَا عَلَيْنَا أَنْ نَفْرِحَ الْمَسَاكِينَ مِنْ مَالِ هَذَا الْأَحْمَقِ!".

وَالنَّاطِفُ: ضَرْبٌ مِنَ الْحَلْوَى يُصْنَعُ مِنَ اللَّوْزِ وَالْجَوْزِ وَالْفُسْتَقِ، وَيُسَمَّى أَيْضًا الْقَبِيطِ. **قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ:**

يَقُولُ وَالنَّاطِفُ فِي كَفِّهِ: مَنْ يَشْتَرِي الْحُلْوَةَ مِنَ الْحُلْوِ؟!
المعجم الوسيط (٢/ ٩٣١).

- وفي خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (٢/ ٢١٥)
ذكر قول شرف الدين عيسى:

يَا رَبَّ الْجَنَابِ الرَّحْبِ جُدُّ لِي
وَكَثَّرْ فِي الْعَطَاءِ وَلَا تُقَلِّلْ
وَمَا تُعْطِيهِ لِي مِنْ خُشْكُنَانٍ
نَهَارَ الْعِيدِ كَبَّرْ أَوْ فَهَلِّلْ!

وَالْخُشْكُنَانُ: كَعَكَةٌ تُصْنَعُ مِنْ خَالِصِ دَقِيقِ الْحِنْطَةِ وَتُمَلَأُ بِالسُّكَّرِ وَاللَّوْزِ أَوْ الْفُسْتَقِ وَتُقَلَّى (فَارْسِي). **وَانظُر:** المعجم الوسيط (١/ ٢٣٦).

وفي قوله: "كَبَّرْ أَوْ فَهَلِّلْ" تورية!

- وقد أفرد القلقشندي في صبح الأعشى (٣/ ٦٠١) فصلاً خاصاً في الحلوى التي تُصنع للسلطان والأعيان في يوم العيد!

وممّا جاء فيه: ويُعمل بدار الفطرة الآتي ذكرها قَصْرانٍ من حلوى زِنَةٌ كُلٌّ منها سبعة عشرَ قنطارًا! في أحسن شكل، عليها صورُ الحيوان المختلفة! ويُحملان إلى القاعة فيُوضعان في طرفي السّماط.

- وفي كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لأدم ميتز (٢/ ٢٩٧) مزيدٌ وصفٍ لهذا.

تنبيه: قال ابنُ الحاج في المدخل (١/ ٢٨٧): "السنةُ في عيد الفطر التوسعةُ فيه على الأهل بأي شيءٍ كان من المأكول، إذ لم يرد الشرعُ فيه بشيءٍ معلوم، فمن وسّع على أهله فيه، فقد امتثل السنة، ويجوز أن يتخذ فيه طعامًا معلومًا، إذ هو من المباح، لكن بشرط عدم التكلف فيه، وبشرط أن لا يجعل ذلك سنةً يُستنُّ بها، فمن خالف ذلك فكأنه ارتكب كبيرةً! وإذا وصل الأمرُ إلى هذا الحدِّ ففعل ذلك بدعةً، إذ إنه بسبب ذلك يُنسب إلى السنة ما ليس منها، وكذلك يُشترط فيه أن يكون على لسان العلم".

(١٧) الطَّلَاوَةُ - مُثَلَّثَةُ الطَّاءِ - : الحُسْنُ والبَهْجَةُ. **يقالُ:** ما على وجهه حَلَاوَةٌ وَلَا طَلَاوَةٌ. تاج العروس (٣٨ / ٥٠٠).

(١٨) **قال الفيومي:** "جوابُ القولِ قد يتضمّنُ تقريره نحو "نعم" إذا كان جوابًا لقوله: هل كان كذا؟ ونحوه، وقد يتضمّنُ إبطاله. والجمعُ: "أجوبةٌ" و"جواباتٌ"، ولا يُسمّى جوابًا إلا بعد طلبٍ". المصباح المنير (ص: ٦٣).

(١٩) قال عامرُ بنُ عليٍّ الأنصاريُّ الأندلسيُّ: سمعتُ أبا منصورٍ الشيرازيَّ في مجلسه بالحرم المقدَّس يوم العيد **يقول**: "ليس العيدُ لمن عُرفَ له، إنما العيدُ لمن عُفِرَ له!". أخبار وتراجم أندلسية للسِّلفي (ص: ٩٣).

(٢٠) جاء في ترجمة حسان بن أبي سنان **رَحِمَهُ اللهُ** في كتاب حلية الأولياء للأصبهاني (١١٥/٣) أنه خرج يومَ العيد، فلمَّا رجَعَ قالتْ له امرأته: كَمْ مِنْ امرأةٍ حسنةٍ نظرتْ إليها اليومَ ورأيتها؟ فلما أكثرَتْ **قال**: "ويحك ما نظرتُ إلَّا في إبهامي منذُ خرجتُ مِنْ عندِكَ حتى رجعتُ إليك!".

(٢١) وردتْ نصوصٌ كثيرةٌ في تحريم المعازف والملاهي، وانعقد إجماعُ العلماءِ في جميعِ الأعصارِ على ذلك، إلَّا من شدًّا! وليس هذا موضعُ بسطها، فمن رام الاطلاعَ عليها بالتفصيل فليرجعْ إلى الكتبِ الكثيرة التي ألفتْ في هذه المسألة بخصوصها، **ومن أوعبها**: كتابُ "الكلام على مسألة السماع" لابن القيم الجوزية **رَحِمَهُ اللهُ**، وكتابُ "تحريم آلات الطَّرب" للألباني **رَحِمَهُ اللهُ**، فقد كَفَّتْ وشفَّتْ.

وقد أعجبني في هذا الصدد قولُ الشاعرِ في ذمِّ الملاهي وأهلها:

تُلِّي الْكِتَابُ فَأَطْرُقُوا لَا خِيْفَةَ لَكِنَّهُ إِطْرَاقُ سَاهِ لِأَهِي
وَأَتَى الْغِنَاءُ فَكَالِدَّبَابِ تَرَاقِصُوا وَاللَّهِ مَا رَقِصُوا لِأَجْلِ اللَّهِ
دُفٌّ وَمِزْمَارٌ وَنَعْمَةٌ شَادِنِ فَمَتَى شَهِدْتَ عِبَادَةً بِمَلاهِ؟

ثَقُلَ الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا
وَعَلَيْهِمْ خَفَّ الْغِنَا لَمَّا رَأَوْا
سَمِعُوا لَهُ رَعْدًا وَبَرْقًا إِذْ حَوَى
وَرَأَوْهُ أَعْظَمَ قَاطِعٍ لِلنَّفْسِ عَنْ
وَأَتَى السَّمَاعُ مُوَافِقًا أَغْرَاضَهَا
تَقْيِيدَهُ بِأَوَامِرٍ وَنَوَاهِي
إِطْلَاقَهُ فِي اللَّهْوِ دُونَ مَنَاهِي
زَجْرًا وَتَخْوِيفًا بِفِعْلِ مَنَاهِي
شَهَوَاتِهَا يَا وَيْحَهَا الْمُتَنَاهِي
فَلِأَجْلِ ذَلِكَ غَدَا عَظِيمَ الْجَاهِ!

وقال آخر:

بَرُّنَا إِلَى اللَّهِ مِنْ مَعَشِرٍ
وَكَمْ قُلْتُ: يَا قَوْمِ أَنْتُمْ عَلَيَّ
شَفَا جُرْفٍ تَحْتَهُ هُوَّةٌ
وَتَكَرَّرُ ذَا النُّصْحِ مِنَّا لَهُمْ
فَلَمَّا اسْتَهَانُوا بَتَنبِيهِنَا
فَعِشْنَا عَلَى سُنَّةِ الْمُصْطَفَى
بِهِمْ مَرَضٌ مِنْ سَمَاعِ الْغِنَا
شَفَا جُرْفٍ مَابِهِ مِنْ بِنَا
إِلَى دَرَكٍ، كَمْ بِهِ مِنْ عَنَا
لِنُعْذَرَ فِيهِمْ إِلَى رَبِّنَا
رَجَعْنَا إِلَى اللَّهِ فِي أَمْرِنَا
وَمَاتُوا عَلَيَّ تَنْتِنَا تَنْتِنَا!

الكلام على مسألة السماع (ص: ١٩)، وإغاثة اللفهان (١ / ٢٢٥)،
ومدارج السالكين ثلاثتها لابن القيم (١ / ٤٨٤)، وغذاء الألباب
للسفاري (١ / ١٦١).

(٢٢) نعوذ بالله وعزته وقدرته من غضبه وعذابه، وسوء عقابه، ومن شرِّ
الذنوب والأشر، والمعاصي والبَطْرِ؛ فإنها سببٌ لتحوُّل الحال من
السعادة إلى الشقاء، ومن النعمة إلى البلاء، ومن العزِّ إلى الذلِّ،
ومن الكثرة إلى القلِّ، وفي وقائع التاريخ عبرٌ لمن اعتبر، وذكري
لمن ادكر. وإليك طرفاً منها:

- قال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي: دخلتُ على أمي يومَ عيدِ الأضحى وعندها امرأةٌ برزوةٌ (جَلِيلَةٌ) في أثوابٍ دَنَسَةٍ رَثَّةٍ، فقالتُ لي: أتعرفُ هذه؟ قلتُ: لا، قالتُ: هذه أمُّ جعفر بن يحيى البرمكي، فسَلَّمْتُ عليها ورَحَّبْتُ بها، وقلتُ لها: يا فلانة! حدِّثيني ببعضِ أمرِكُم، قالتُ: أذكر لك جملةً كافيةً فيها اعتبارٌ لمن اعتبر، ومَوْعظةٌ لمن فَكَّر، لقد هجم عليَّ مثلُ هذا العيدِ وعلى رأسي أربعُمائةٍ جاريةٍ ووَصيفةٍ، وأنا أزعم أن جعفرَ ابني عاقُّ بي! وقد أتيتُكم في هذا اليومِ والذي يُقنعني جِلْدُ شاتينِ أجعلُ أحدهما شِعَارًا والآخَرَ دِثَارًا! قال: فدفعتُ إليها خمسمائةٍ درهمٍ، فكادتُ تموتُ فَرَحًا!!

انظر: الجليس الصالح الكافي للنهرواني (ص: ١٢٥)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ٦٩)، وحياة الحيوان الكبرى للدِّميري (٢/ ٥٩).

- وقع ملكُ الأندلس المعتمدُ بنُ عبَّاد بعد العزِّ والسلطانِ في الأسر، وسُجنَ في مدينةِ أغماتِ من أرضِ المغرب! فأتاه بناتُه يَزُرُّنه في يومِ عيدٍ، وكُنَّ يَغزِلنَ للناسِ بالأجرِ، فرأهنَّ في أطمارِ رَثَّةٍ، فَصَدَعَنَ قلبه، فقال:

فِيمَا مَضَى كُنْتُ بِالْأَعْيَادِ مَسْرُورًا
فَسَاءَكَ الْعِيدُ فِي أَغْمَاتِ مَأْسُورًا
تَرَى بَنَاتِكَ فِي الْأَطْمَارِ جَائِعَةً
يَغزِلْنَ لِلنَّاسِ مَا يَمْلِكُنَ قَطْمِيرًا

بَرَزْنَ نَحْوَكَ لِتَسْلِيمِ خَاشِعَةً
 أَبْصَارُهُنَّ، حَسِيرَاتٍ مَكَاسِيرًا
 يَطَّانَ فِي الطَّيْنِ وَالْأَقْدَامِ حَافِيَةً
 كَأَنَّهَا لَمْ تَطَأْ مِسْكَاً وَكَافُورًا!
 قَدْ كَانَ دَهْرُكَ إِنْ تَأْمُرُهُ مُمْتَثِلًا
 فَرَدَّكَ الدَّهْرُ مِنْهَا وَمَأْمُورًا!
 مَنْ بَاتَ بَعْدَكَ فِي مُلْكٍ يُسْرُ بِهِ
 فَإِنَّمَا بَاتَ بِالْأَحْلَامِ مَغْرُورًا!

المختار من شعر شعراء الأندلس لابن الصيرفي (ص: ٢٣)،
 ووفيات الأعيان لابن خلكان (٣٦ / ٥)، ومرآة الزمان في تواريخ
 الأعيان لسبط بن الجوزي (١٩ / ٤٨٤)، ونفح الطيب للمقري
 (٢٧٤ / ٤).

- مَرَّ الْعِيدُ عَلَى الْأَمِيرِ أَبِي فِرَاسِ الْحَمْدَانِيِّ وَهُوَ أَسِيرٌ فِي بِلَادِ الرُّومِ،
فَقَالَ يَشْكُو حَالَهُ:

يَا عَيْدُ! مَا عُدْتَ بِمَحْجُوبٍ عَلَى مُعْنَى الْقَلْبِ مَكْرُوبٍ
 يَا عَيْدُ! قَدْ عُدْتَ عَلَى نَاطِرٍ عَنِ كُلِّ حُسْنٍ فِيكَ مَحْجُوبٍ
 يَا وَحْشَةَ الدَّارِ الَّتِي رَبُّهَا أَصْبَحَ فِي أَثْوَابِ مَرْبُوبٍ!
 قَدْ طَلَعَ الْعَيْدُ عَلَى أَهْلِهِ بِوَجْهِهِ لَا حُسْنَ وَلَا طَيْبٍ
 مَالِي وَلِلدَّهْرِ وَأَحْدَاثِهِ لَقَدْ رَمَانِي بِالْأَعَاجِبِ!

ديوان أبي فراس الحمداني (ص: ٣٦).

(٢٣) من ذلك ما جاء في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: دَخَلَ عَلَيَّ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيتَانِ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ، تُغْنِيَانِ بَمَا تَقَاوَلْتُ بِهِ الْأَنْصَارُ، يَوْمَ بُعِثَ، قَالَتْ: وَلَيْسَتْا بِمُغْنِيَتَيْنِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَبْمَزْمُورِ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! وَذَلِكَ فِي يَوْمِ عِيدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا". أخرجه البخاري رقم (٩٥٢)، ومسلم رقم (٨٩٢) واللفظ له.

- ومن ذلك ما جاء في الصحيحين أيضًا عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: "جَاءَ حَبَشٌ يَزْفِنُونَ فِي يَوْمِ عِيدٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَضَعْتُ رَأْسِي عَلَى مَنْكِبِهِ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ، حَتَّى كُنْتُ أَنَا الَّتِي أَنْصَرِفُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ". أخرجه البخاري رقم (٤٥٤)، ومسلم رقم (٨٩٢) واللفظ له.

ورواه مسلم رقم (٨٩٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: "بَيْنَمَا الْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِرَابِهِمْ، إِذْ دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَهْوَى إِلَى الْحَصْبَاءِ يَحْصِبُهُمْ بِهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَعَهُمْ يَا عُمَرُ".

(٢٤) شَيْخٌ مَهُوٌ: يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْخُسْرَانِ فَيُقَالُ: أَخْسَرُ صَفْقَةً مِنْ شَيْخٍ مَهُوٍ!

وَمَهُوٌ حَيٌّ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، وَكَانَتْ إِيَادٌ تُسَبُّ بِالْفَسُوِّ وَتُعَيَّرُ بِهِ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ إِيَادٍ بِسُوقِ عَكَازٍ وَمَعَهُ بُرْدَا حَبْرَةَ، فَقَالَ: مَنْ

يَشْتَرِي مِنِّي عَارَ الْفَسْوِ بِهَذَيْنِ الْبُرْدَيْنِ؟! فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَيْدَرَةَ أَحَدُ
مَهُوٍ فَقَالَ: هَاتِيهِمَا، وَأَشْهَدُوا أَنِّي اشْتَرَيْتُ عَارَ الْفَسْوِ مِنْ إِيَادٍ لِعَبْدِ
الْقَيْسِ بِالْبُرْدَيْنِ!! فَلَمَّا أَتَى رَحْلَهُ وَسُئِلَ عَنِ الْبُرْدَيْنِ قَالَ: اشْتَرَيْتُ
لَكُمْ بِهِمَا عَارَ الدَّهْرِ! فَوَثِبَتْ عَبْدُ الْقَيْسِ وَقَالَتْ:

إِنَّ الْفُسَاءَ قَبْلَنَا إِيَادُ وَنَحْنُ لَا نَفْسُو وَلَا نَكَادُ!
وَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ عَكَازِ بَابْتِياعِ عَبْدِ الْقَيْسِ عَارَ الْفَسْوِ حَتَّى قَالَ
الشَّاعِرُ:

يَا مَنْ رَأَى كَصَفْقَةِ ابْنِ بَيْدَرَةَ
مِنْ صَفْقَةِ خَاسِرَةٍ مُخَسَّرَةٍ!
الْمُشْتَرِي الْفَسْوِ بِبُرْدِي حَبْرَهُ
شُلَّتْ يَمِينُ صَافِقٍ مَا أَخْسَرَهُ!

انظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي (ص: ١٠٦)،
وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (١/ ٣٨٨)، وأخبار
الحمقى والمغفلين لابن الجوزي (ص: ٤٤).

(٢٥) الأَرَجُ: تَوَهَّجَ رِيحَ الطَّيِّبِ. الصحاح (١/ ٢٩٨).

(٢٦) مِنَ الْأُمُورِ الْمَحْدَثَةِ الْمَبْتَدَعَةِ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ: بَدْعَةُ عِيدِ الْأَبْرَارِ،
وهو اليوم الثامن من شهر شوال.

فبعد أن يُتِمَّ النَّاسُ صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَيَفْطُرُوا الْيَوْمَ الْأَوَّلَ مِنْ شَهْرِ
شَوَّالٍ - وَهُوَ يَوْمُ عِيدِ الْفِطْرِ - يَبْدَأُونَ فِي صِيَامِ السَّيِّئَةِ أَيَّامَ الْأَوَّلِ مِنْ
شَهْرِ شَوَّالٍ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يَجْعَلُونَهُ عِيدًا يَسْمُونَهُ: عِيدَ الْأَبْرَارِ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "أما ثامنُ شوالٍ: فليس عيدًا لا للأبرار ولا للفجَّار، ولا يجوز لأحدٍ أن يعتقده عيدًا، ولا يحدث فيه شيئًا من شعائر الأعياد". الفتاوى الكبرى (٣٧٩ / ٥).

وقال أيضًا: "ثامنُ شوالٍ الذي يُسمِّيهِ الجُهالُ عيدَ الأبرارِ من البدع التي لم يستحبَّها السلفُ ولم يفعلوها". مجموع الفتاوى (٢٩٨ / ٢٥) بتصرفٍ يسيرٍ. وانظر: البدع الحولية للتويجري (ص: ٣٥٠).

(٢٧) انظر: الأمر بالاتباع للسيوطي (ص: ١٤٥)، وفتاوى اللجنة الدائمة (٧٤ / ٢) و(٣١٨ / ٨)، ومعجم البدع لرائد صبري (ص: ٤١٩).

لطيفة: قال زيادُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ: "رأيتُ عبدَ الجبارِ بنَ وائلٍ، وعلقمةَ بنَ مرثدٍ، وطلحةَ الأيامي، وزبيدَ الأيامي يصومونَ يومَ النيروزِ، ويعتكفونَ في المسجدِ الأكبرِ، فكانوا يقولونَ: هذا يومٌ عيدٌ للمشركين، يريدونَ به الخلافَ على المشركين". تاريخ بغداد للخطيب (٤٩٧ / ٩).

(٢٨) اعلم أنه ليس لأهل الإسلام سوى عيدين فقط، هما: عيدُ الفِطْرِ وعيدُ الأضحى، وما سوى ذلك من الأعيادِ فليس من ملتنا! ولقد أحسن الشيخُ محمدُ المجذوب رَحِمَهُ اللهُ إذ يقول:

عِيدَانِ عِنْدَ أَوْلِي النُّهَى لَا ثَالِثُ

لَهُمَا، لِمَنْ يَبْغِي السَّلَامَةَ فِي عَدِ

الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، وَكُلُّ زِيَادَةٍ

فِيهَا خُرُوجٌ عَنِ سَبِيلِ مُحَمَّدٍ

(٢٩) **انظر:** الإبداع في مضار الابتداء لعلي محفوظ (ص: ٢٦٣)،
وأحكام الجنائز للألباني (ص: ٢٥٨)، والبدع والمحدثات وما لا
أصل له لحمود بن عبد الله المطر (ص: ٢٩٧).

(٣٠) **انظر:** البدع والمحدثات وما لا أصل له (ص: ٢١١).

(٣١) **انظر:** المرجع نفسه (ص: ٥٠١).

وَأَمَّا مَعْنَى قَوْلِي: مَنْ عَذِرِي؟ فَقَدْ قَالَ الْفَيُّومِيُّ: "قَوْلُهُمْ: مَنْ
عَذِرِي مِنْ فُلَانٍ وَمَنْ يَعْذُرُنِي مِنْهُ، أَي: مَنْ يَلُومُهُ عَلَى فِعْلِهِ وَيُنْحِي
بِاللَّائِمَةِ عَلَيْهِ وَيَعْذُرُنِي فِي أَمْرِهِ وَلَا يَلُومُنِي عَلَيْهِ.
وَقِيلَ: مَعْنَاهُ مَنْ يَقُومُ بِعَذْرِي إِذَا جَازَيْتُهُ بِصُنْعِهِ وَلَا يَلُومُنِي عَلَى مَا
أَفَعَلْتُهُ بِهِ". المصباح المنير (٢/ ٣٩٩).

(٣٢) **انظر:** الإبداع في مضار الابتداء (ص: ٥٩)، وفتاوى اللجنة
الدائمة (٨/ ٣١٤)، ومعجم البدع لرائد صبري (ص: ٤١٦)،
والبدع والمحدثات وما لا أصل له (ص: ٥٢٥).

وأولُ مَنْ أَحْدَثَ الْأَذَانَ وَالْإِقَامَةَ فِي الْعِيدَيْنِ هُوَ الْخَلِيفَةُ الْأُمَوِيُّ:
هشامُ بنُ عبد الملك!

(٣٣) **انظر:** السنن والمبتدعات للشقيري (ص: ١٦٠)، وقاموس البدع
لمشهور بن حسن آل سلمان (ص: ٧١٧).

(٣٤) **انظر:** الاعتصام للشاطبي (٢/ ١٩).

وأولُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ قَبْلَ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْعِيدِ مِرْوَانُ بنُ الْحَكَمِ!

(٣٥) انظر: السنن والمبتدعات للشقيري (ص: ٩٠)، ومعجم البدع لرائد صبري (ص: ٤١٧).

(٣٦) فنُّ "النقائض" من الفنون الأدبية المُنْدَثرة، وأرجو أن يُحييه اللهُ على يدي، ولي فيه مُصنّفٌ جليلٌ يسّر اللهُ إتمامه ونشره.

(٣٧) هو أبو عيسى أحمد بن الخليفة هارون الرشيد. وقيل: اسمه صالح أو محمد. وأمّه أمٌ ولدٍ بربريّة.

وليّ إمرة الكوفة سنة أربع ومائتين، وحجّ بالناس سنة سبع ومائتين. كان من أحسن الناس وجهًا ومُجالسةً وعِشرةً وأمجنهم وأحدّهم نادرةً وأشدّهم عبثًا!!

وكانت عَرِيبُ المأمونية **تقول**: ما سمعتُ غناءً أحسنَ من غناء أبي عيسى بن الرشيد، ولا رأيتُ وجهًا أحسنَ من وجهه.

وكان إذا عزم على الركوب جلس الناس لرؤيته أكثر مما يجلسون لرؤية الخلفاء!

رُوي أن الرشيد **قال** يوماً لأبي عيسى وهو صبيٌّ: ليتَ جمالكَ لعبد الله! (يعني المأمون) فقال له: يا أمير المؤمنين، على أن حظّه منك لي. فعجب الرشيدُ من جوابه على صباه وضمّه إليه وقبّله.

وكان المأمونُ أشدّ الناس حبًّا له، وكان يعدّه للخلافة بعده ويذكر ذلك كثيرًا.

توفي سنة (٢٠٩ هـ)، ولمّا مات وجد المأمونُ عليه وُجْدًا شديدًا.

انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (١٠ / ١٩٩)،
وتاريخ الإسلام للذهبي (١٤ / ٤٧١)، ونهاية الأرب في فنون
الأدب للنويري (٤ / ٢١٨).

(٣٨) جاء في سبب ذلك: أن الخليفة المأمون تراءى هلال شهر رمضان
وأخوه أحمد هذا معه، **فقال أحمد:**

دَهَانِي شَهْرُ الصَّوْمِ لَا كَانَ مِنْ شَهْرِ
وَلَا صُمْتُ شَهْرًا بَعْدَهُ آخِرَ الدَّهْرِ!
فَلَوْ كَانَ يُعْدِينِي الإِمَامُ بِقُدْرَةٍ
عَلَى الشَّهْرِ، لاسْتَعْدَيْتُ جَهْدِي عَلَى الشَّهْرِ!

فأصابه عقيب هذا القول صرعٌ، فكان يُصرعُ في اليوم مرّاتٍ إلى أن
مات، ولم يبلغ شهرًا مثله!

وقيل: إنه كان يُحبُّ صيد الخنازير، فوقع من دابته، فلم يسلم
دماغه، فكان يخبطُ في اليوم مرّاتٍ إلى أن مات!

انظر: الأوراق - قسم أخبار الشعراء - (٣ / ٩٣)، وأشعار
أولاد الخلفاء وأخبارهم (ص: ٩٣) كلاهما للصولي، والتذكرة
الحمدونية لابن حمدون (٨ / ٣٨)، والمنتظم في تاريخ الملوك
والأمم لابن الجوزي (١٠ / ٢٠١)، وتاريخ الإسلام للذهبي
(١٤ / ٤٧٢).

(٣٩) أبو نواس: هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي
بالولاء، شاعرُ العراق في عصره.

ولد في الأهواز (من بلاد خوزستان) ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها الخُصيب، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيها سنة (١٩٨ هـ).

قال الجاحظُ: ما رأيتُ رجلاً أعلمَ باللغة ولا أفصحَ لهجةً من أبي نواس.

وقال أبو عبيدة: كان أبو نواس للمحدثين كامرئ القيس للمتقدمين.

وقال كلثومُ العتابي: لو أدرك أبو نواس الجاهلية ما فضل عليه أحدٌ.

وقال الإمامُ الشافعيُّ: لولا مُجونُ أبي نواسٍ لأخذتُ عنه العلم.

وحكى أبو نواس عن نفسه **قال:** "ما قلتُ الشعرَ حتى رويتُ لستين

امرأةً من العرب!" فما ظنُّك بالرجال؟! **انظر:** الأعلام للزركلي

(٢/٢٢٥).

(٤٠) ديوان أبي نواس (ص: ٤٦٨).

(٤١) **ابنُ الرومي:** هو علي بن العباس بن جريج، الرومي، أبو الحسن:

شاعرٌ كبيرٌ، من طبقة بشار والمتنبي، روميُّ الأصل، كان جدُّه من

موالي بني العباس، وُلد ونشأ ببغداد، ومات فيها سنة (٢٨٣ هـ)

مسموماً، قيل: دَسَّ له السَّمُّ القاسمُ بنُ عبيد الله (وزير المعتضد)

وكان ابنُ الرومي قد هجاه.

قال المرزباني: لا أعلمُ أنه مدح أحدًا من رئيسٍ أو مرؤوسٍ، إلا

وعاد إليه فهجاه! ولذلك قلتُ فائدته من قول الشعر وتحاماه

الرؤساء وكان سبباً لوفاته. له ديوان شعر كبير. **انظر:** الأعلام للزركلي (٢٩٧/٤).

(٤٢) **السُّلَيْكُ:** هو السُّلَيْكُ بنُ عمير بن يثربي بن سنان السعدي التميمي، والسُّلَكَةُ أُمُّهُ.

فاتك، عداء، شاعر، أسود، من شياطين الجاهلية. يُلقَّب بالربال. كان أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها. له وقائع وأخبار كثيرة. وكان لا يُغَيِّرُ على مضر. وإنما يُغَيِّرُ على اليمن، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة.

قتله أسد بن مُدرك الخثعمي. الأعلام للزركلي (١١٥/٣).

(٤٣) **الرَّمَكَةُ:** أُنْثَى البَرَادِين. مجمل اللغة لابن فارس (ص ٣٩٩).

(٤٤) ديوان ابن الرومي (٢٢/٣).

وانظر: اللطائف والظرائف للثعالبي (ص: ٣٠٠)، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون (٩/٣٩١)، والدرّ الفريد وبيت القصيد للمستعصمي (٤٥/٧).

(٤٥) **الْكُنُودُ:** يُطْلَقُ عَلَى الكُفُورِ، والعاصي، والبخيل. **انظر:** العين للخليل (٥/٣٣١)، ومفاتيح الغيب للرازي (٣٢/٢٦١).

(٤٦) **يَوْمُ الحَسْرَةِ:** هو اليوم الذي يكون فيه الندم شديداً؛ إذ يرى كل عبد حصيلة أعماله، وتكون الحسرة بما يراه أهل النار من منازل أهل الجنة، فتشتد حسرتهم؛ وهو من أسماء يوم القيامة، **قال تعالى:**

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

(٤٧) النَّزْقُ: الخِيفَةُ وَالطَّيْشُ. جمهرة اللغة لابن دريد (٨٢٣ / ٢).

(٤٨) الطُّغْرَائِيُّ: هو الحسينُ بنُ عليِّ بن محمد مؤيد الدين، الأصبهاني.

شاعرٌ، من الوزراء الكتاب، كان يُنعت بالأستاذ. وُلد بأصبهان، واتصل بالسلطان مسعود بن محمد السلجوقي (صاحب الموصل) فولَّاه وزارته. ثم اقتتل السلطان مسعودٌ وأخ له اسمه السلطان محمود فظفر محمودٌ وقبض على رجال مسعود، وفي جملتهم الطُّغْرَائِيُّ، فأراد قتله ثم خاف عاقبة النعمة عليه؛ لِمَا كان الطُّغْرَائِيُّ مشهورًا به من العلم والفضل، فأوعز إلى من أشاع اتهامه بالإلحاد والزندقة! فتناقل الناس ذلك، فاتخذه السلطان محمودٌ حُجَّةً، فقتله سنة (٥١٣ هـ).

له (ديوان شعر - ط) وأشهر شعره (لامية العجم) ومطلعها: (أَصَالَةٌ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطْلِ). انظر: الأعلام للزركلي (٢٤٦ / ٢).

(٤٩) الْمُدَامُ: الخمر.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: من أسماء الخمر المُدَامُ والمُدَامَةُ.

وَقَالَ اللَّيْثُ: سميت مُدَامَةٌ لِأَنَّهَا لَا تَبْرَأُ لِشَيْءٍ مِنَ الشَّرَابِ يُسْتَطَاعُ إِدَامَةُ شُرْبِهِ غَيْرَهَا.

وَقَالَ غَيْرُهُ: سَمِيَتْ مُدَامَةٌ لِأَنَّهَا أُدِيمَتْ فِي الدُّنْيَا زَمَانًا حَتَّى سَكَنْتَ بَعْدَهَا فَارَتْ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَسْكُنُ فَقَدْ دَامَ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَاءِ الَّذِي سَكَنَ فَلَا يَجْرِي: دَائِمٌ. تهذيب اللغة للأزهري (١٤٨ / ١٤).

(٥٠) **البيتان في:** سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي (ص: ٦٧)، وغرائب التنبهات على عجائب التشبيهات (ص: ١٤)، وبدائع البدائه كلاهما لابن ظافر الأزدي (ص: ١٠١)، ونثار الأزهار في الليل والنهار لابن منظور (ص: ٥٠).

(٥١) **أحمد شوقي:** هو أحمد بن علي بن أحمد شوقي: أشهر شعراء العصر الأخير. يُلقَّب بأمير الشعراء. وُلد بالقاهرة، ونشأ في ظل البيت المالِك بمصر.

اتسعتْ ثروته، وعاش مُترفاً، في نعمةٍ واسعةٍ، ودعةٍ تتخللها ليالٍ (نُواسية) وسمَّى منزله (كَرَمَة ابن هاني)! وبستاناً له (عُشّ البلبل)! وكان يَغشى في أكثر العشيَّات بالقاهرة مجالسَ من يأنس بهم من أصدقائه، يلبث مع بعضهم ما دامت النكتةُ تسودُ الحديثَ، فإذا تحوّلوا إلى جدلٍ في سياسةٍ أو نقاشٍ في (حزبية) تسلّل من بينهم، وأمّ سواهم.

عالج أكثر فنون الشعر: مديحاً، وغزلاً، وورثاءً، ووصفاً، ثم ارتفع محلّقاً فتناول الأحداث السياسية والاجتماعية في مصر والشرق والعالم الإسلامي، فجرى شعره على كلِّ لسانٍ. وكانت حياته كلها (للشعر) يستوحيه من المشاهدات ومن الحوادث.

وهو أول من جوّد القصصَ الشعريَّ التمثيليَّ بالعربية، وقد حاول قبله أفرادٌ، فبذّهم وتفرد. وأراد أن يجمع بين عنصري البيان: الشعر والنثر، فكتب نثراً مسجوعاً على نمط المقامات، فلم يلقَ نجاحاً، فعاد مُنصرفاً إلى الشعر.

من آثاره (الشوقيات - ط) أربعة أجزاء، وهو ديوان شعره، و(دول العرب - ط) نظم.

توفي بالقاهرة سنة (١٣٥١ هـ). **انظر:** الأعلام للزركلي (١/١٣٦).

(٥٢) الشوقيات (ص: ٣٨٨).

(٥٣) **الْحَبَّاتُ:** جمعُ حَبِيثٍ. ويُرادُ به المَبَالِغَةُ فِي الحُبِّثِ. **انظر:** إكمال

الإعلام بتثليث الكلام لابن مالك (١/١٧٤)، والطرز الأول لابن معصوم (٣/٣٧٦).

(٥٤) **الأَوْهَاقُ:** جَمْعٌ وَهَقٍ - بالتَّحْرِيكِ - وَقَدْ يُسَكَّنُ، وَهُوَ حَبْلٌ

كَالطَّوْلِ تُشَدُّ بِهِ الإِبِلُ وَالخَيْلُ، لِثَلَا تَنَدُّ. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/٢٣٣).

تذنيب: قال الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ عَنْ سببِ اسْتِثْقَالِ

هَؤُلَاءِ لَشَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ: "هَؤُلَاءِ السَّفَهَاءُ يَسْتِثْقَلُونَ رَمَضَانَ؛

لَا اسْتِثْقَالَهُمُ الْعِبَادَاتِ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ. فَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ

الْجُهَّالِ لَا يُصَلِّي إِلا فِي رَمَضَانَ إِذَا صَامَ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ لَا يَجْتَنِبُ

كِبَائِرَ الذُّنُوبِ إِلا فِي رَمَضَانَ، فَيَطْوُلُ عَلَيْهِ وَيَشُقُّ عَلَى نَفْسِهِ مَفَارِقَتَهَا

لِمَا لَوْفَهَا، فَهُوَ يَعُدُّ الأَيَّامَ وَالليَالِي لِيَعُودُوا إِلَى المَعْصِيَةِ! وَهَؤُلَاءِ

مُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ، فَهَمُ هَلَكَى. وَمِنْهُمْ مَنْ لَا

يَصْبِرُ عَلَى المَعَاصِي فَهُوَ يُوَاقِعُهَا فِي رَمَضَانَ!

وَحِكَايَةُ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ الْبَلْخِيِّ مَشْهُورَةٌ وَقَدْ رُوِيَ مِنْ وَجْهِهِ،

وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ مُصِرًّا عَلَى شُرْبِ الخَمْرِ، فَجَاءَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ

وهو سكرانُ فعاتبته أمُّه وهي تَسْجُرُ تَنْوَرًا، فحملها فألقاها في التَّنُّور! فاحترقت، وكان بعد ذلك قد تاب وتعبَّد، فرُوي له في النوم أن الله قد غفر للحاجِّ كلِّهم سواه!

فمن أراد الله به خيرًا حبَّب إليه الإيمانَ وزَيَّنَه في قلبه، وكرَّه إليه الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ فصار من الراشدين، ومن أراد به شرًّا خلَّى بينه وبين نفسه، فاتَّبَعَه الشيطانُ، فحبَّب إليه الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ فكان من الغاوين". لطائف المعارف (ص: ١٤٦).

(٥٥) أَلَّفَ أبو محمد عبدُ الله بن إبراهيم الأزدي الأندلسي (ت ٧٥٠هـ) مقامةً عن عيد الأضحى.

وقد أوردها لسانُ الدين بن الخطيب في كتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة" (٣/ ٤٢٥ - ٤٣٢). كما نشرها مستقلةً الأستاذُ أحمد مختار العبادي في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الثاني، سنة ١٣٧٣ هـ، العدد ١ - ٢.

(٥٦) القِطْرُ: هو النُّحَاسُ. تهذيب اللغة (٦/٩).



التصميم الداخلي للكتاب

Tharwat Sultan

TharwatSultan@yahoo.com

للتواصل: 00201019530152